

## أضواء البيان

@ 43 لا حجر عليهم ، كما أن المنفك لا حجر عليه ، وهو لم يقل مفكوكين ، بل قال :  
منفكين ، وهذا أحسن ، إلى أن قال : والمقصود أنهم لم يكونوا متروكين لا يؤمرون ولا ينهون  
ولا ترسل إليهم رسل . .  
والمعنى : أن لا يخليهم ولا يتركهم ، فهو لا يفكهم حتى يبعث إليهم رسولا ، وهذا كقوله  
: { أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى } ، لا يؤمر ، ولا ينهى ، أي : أیظن أن هذا  
يكون ؟ هذا ما لا يكون ألبتة ، بل لا بد أن يؤمر وينهى . .  
وقريب من ذلك قوله تعالى : { إِنْ زَلَّ جَعَلْنَا هُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ  
تَعْقِلُونَ \* وَإِنْ زَلَّ هُ فِي أُمَّةٍ الْأَكْثَرِ لَدَيْنَنَا لَعَلَّيْ حَكِيمٌ \*  
أَفَنْذَرْنَا رَبُّ عَنكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ } . وهذا  
استفهام إنكار أي لأجل إسرافكم نترك إنزال الذكر ، ونعرض عن إرسال الرسل . .  
تبين من ذلك كله أن الأصح في ( منفكين ) معنى ( متروكين ) وبه يزول الإشكال الذي أورده  
الفخر الرازي ، ويستقيم السياق ، ويتضح المعنى ، وباللَّه تعالى التوفيق { حَتَّى  
تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّهِمْ } .  
أجمل البيئته ثم فصلها فيما بعدها { رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مَّطْهُرَةً } .  
وفي هذا قيل : إن البيئته هي نفس الرسول في شخصه ، لما كانوا يعرفونه قبل مجيئه ، كما  
في قوله : { وَمُؤَيَّدٌ بِرَسُولٍ يَأْتِيهِ مِنَ بَعْدِي اسْمُهُ أَذْهَبُ } ، وقوله :  
{ يَعْرِفُونَ نَبَاهَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ } . .  
فكان وجوده صلى الله عليه وسلم بذاته بيئته لهم . .  
ولذا جاء في الآثار الصحيحة أنهم عرفوا يوم مولده بظهور نجم نبي الختان إلى آخر أخباره  
صلى الله عليه وسلم ، وكانوا يستفتحون به على الذين كفروا ، وكذلك المشركون كانوا  
يعرفونه عن طريق أهل الكتاب ، وبما كان متصفًا به صلى الله عليه وسلم ، ومن جميل الصفات  
كما قالت له خديجة عند بدء الوحي له وفزعه منه : ( كلا واللَّه لن يخزيك اللَّه ،  
واللَّه إنك لتحمل الكل وتعين على نوائب الدهر ) إلى آخره . .  
وقول عمه أبي طالب : ( واللَّه ما رأيت له لعب مع الصبيان ولا علمت عليه كذبة ) إلخ .  
وقد لقبوه بالأمين .